الرايـة والأعـلام عنـد الزيـانييـن (633هـ /964)(1235-1556م)

د/ صـالح بن قـربة
أستـاذ التعليـم العـالي
معهد الآثار– جامعة الجزائر

ملخص :
كان لقيام الدول الإسلامية بالمغرب الأوسط أن جعلت رمزا لكيانها السياسي، حتي تساير الركب الحضاري مع الدول المجاورة لها. ومن هنا كانت الدولة الزيانية إتخذت شعارها الإداري المتمثل في الراية والأعلام، وما يتصل بها من إشارات وسبل الإحتفال بواسطتها، كما تضمنت أشكالها ورموزها .

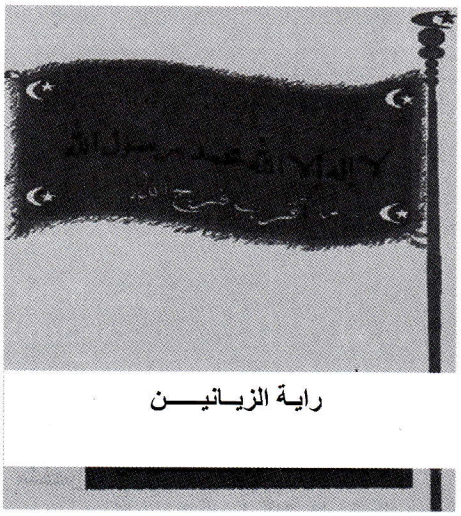
راية الزيـانيـــن

إن الحديث عن الرايات والأعلام عند الزيانيين، يدعونا بداية إلى وقفة سريعة أمام الظروف التي أظهرتهم كقوة ناشئة على مسرح أحداث المغرب الإسلامي، خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، والتي أدت في نهاية الأمر، بقبيلة بني عبد الواد(1)، التي كانت ترتاد جبال وصحراء المغرب، إلى الترحيب والاعتراف بالولاء للموحدين الذين فتحوا هذه البلاد وقدمت لهم يد المساعدة في توطيد حكمهم بها، فنالوا ثقتهم وحصلوا منهم على اتطاعات وفيرة بأحواز تلمسان، فاستقروا بها منذ ذلك الوقت.

ولما انهارت دولة الموحدين، استقل يغمراسن بن زيان زعيم القبيلة بالحكم، مع الاعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية، سنة 633ه/1236م، مؤسسا بذلك دولة عرفت باسم دولة بني عبد الواد تارة، وبدولة بني زيان تارة أخرى ، كما هو معروف في المصادر التاريخية(2).

حكم بنوزيان المغرب الأوسط متخذين من تلمسان حاضرة لدولتهم، أكثر من ثلاثة قرون(633ه/964ه)(1236م /1556م)، عرفت البلاد خلالها فترات ازدهار وتقدم، وفترات اضمحلال وذبول وتدهور، انعكست آثارها على جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية والفنية. يدل على ذلك،أن حدود هذه الدولة غير ثابتة، إذ كانت تضيق وتتسع حسب قوة جيرانها من الحفصيين شرقا، والمرينيين غربا، بيد أنه يمكن القول، بأن حدودها، كانت تمتد طولا بين البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غربا(3). وكان لموقعها الجغرافي الهام، الذي يتوسط بلاد المغربين الأدنى والأقصى، والذي جعلها تحتل مركزا تجاريا واقتصاديا حساسا، يسر لها عملية التحكم في التجارة بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب، وقد جلب لها ذلك الموقع المشاكل وعرضها للغزو والحصار من جارتيها الحفصية والمرينية، اللتان كانتا تحصرانها وتضيقان الخناق عليها (4).

ومع ذلك فإنها كثيرا ما كانت في أيام عزها وقوتها تغير على جيرانها وتتوغل في أراضهم شرقا وغربا، إلا أنها في نفس الوقت ، كانت تعاني من الويلات و المآسي من جراء حروبهم وغاراتهم، لاسيما بنو مرين الذين تمكنوا من احتلال عاصمتهم تلمسان مرات عديدة، خصوصا على عهدي حكم أبي الحسن سنة 735ه/1334م، وأبي عنان فارس المتوكل على الله سنة 753ه/1352م (5)، ولم يخفف من مآسي ومتاعب هذه الدولة، سوى تأييد ملك غرناطة لها، كما فعل المرابطون والموحدون من قبل، ومن تم عمل بنو الأحمر على تأييد بني زيان بشتى الوسائل والحيل كي يضعفوا من شوكة المرينيين ويشغلوهم عنهم(6).

وكان من نتائج هذه السياسة، بين بني الأحمر وبني زيان، أن ارتبطت تلمسان بغرناطة في مختلف الميادين السياسية والحضارية، حتى صار لها طابع أندلسي نلمسه بوضوح في مبانيها و مساجدها ومدارسها (7).

ورغم صمود الدولة لهذا الصراع المرير واستماتتها في الدفاع عن نفسها من أجل البقاء والاستمرار في الحياة السياسية في المغرب، فقد طبع تاريخها بالطابع العسكري، أنهك قواها وحال بينها وبين مساهمتها في الميادين الحضارية بوفرة، والتي تبدو من القلة، إذا قورنت بمنجزات المرينيين المعمارية، وإن نظرة فاحصة إلى ما خلفته هذه الدولة من عمائر دينية ومدنية واستحكامات عسكرية لدليل قاطع على ما تقول، وبالتالي فإن الحروب التي عاشتها والمعارك التي خاضتها من أجل السيادة وحماية الحدود قد أدت ولاشك إلى زوال واختفاء الكثير من رموزها ورسومها وشاراتها الملوكية، والمجال هنا لا يتسع لذكر كل تفاصيل تاريخ بن زيان، لأن ذلك يخرج عن نطاق هذه الدراسة التي نسلط الأضواء فيها على الرايات والأعلام في تاريخهم، وعليه فإننا نكتفي بهذا التمهيد لعله يساعدنا على فهم ما يكتنف الموضوع من غموض وملابسات وطروحات، ومن تم يتيح لنا التعرف على الغاية من رفع الراية عند الرينيين في الحرب والسلام ويكشف عن المناسبات التي كانت الرايات تلعب فيها دورا رئيسيا وكيف كانت أشكالها وأبعادها ومادتها وألوانها وشعاراتها وغيرها من الأمور التي ترتبط بموضوعها، مثل أن الزيانيين خصوا جيشهم بعلم خاص، على غرار ما هو شائع عند الحفصيين والمرنيين بتونس والمغرب وبني نصرفي الأندلس، ذلك ما سنحاول تناوله بالدراسة التحليلية المقارنة، انطلاقا مما توفر لدينا من نصوص وإشارات تاريخية .

الواقع، إن أسلوب الزيانيين في تعاملهم مع الرايات والأعلام في حياتهم السياسية والعسكرية، ليس أمرا سهل المنال، بسبب قلة المعطيات حول الموضوع، كما سبق أن ذكرنا قبل قليل – ولكن مع ذلك، وفي ضوء الإشارات المقتضبة التي تضمنها كتاب"واسطة السلوك في سياسة الملوك" للسلطان أبي حمو موسى الثاني(8)، وبالرجوع إلى ماكان شائعا في نضم جاراتيها بتونس والمغرب الأقصى، يمكن الوقوف على بعض الحقائق في هذا المجال.

1 /-اللون:

ليس بين أيدينا من النصوص التاريخية والأثرية ما يشير إلى أن الزيانيين ، قد فضلوا لونا معينا، دون آخر، كما هو الشأن عند المرينيين الذين استعملوا البياض في حياتهم، فكان هو لون العلم و لباس الحفلات الرسمية، ولون أخبية الجيش (9)، ولباس السلطان .

ويبدو من عبارة ابن خلدون أن البربر من صنهاجة و زناتة لم يختصوا بلون واحد(10)، على الرغم من أن الألوان في التاريخ الإسلامي قد لعبت دورا أساسيا في تميز الفرق و الدول عن بعضها البعض (11).

ومهما يكن من شيء، فإن مسألة تحديد اللون كشعار للدولة الزيانية، ستبقى مسألة قائمة، نحتاج إلى مزيد من الدراسة والتنقيب في بطون أمهات المخطوطات التي تزخر بها مدن وصحراء الجزائر، والتي مازالت حبيسة الرفوف لم تلق العناية من الباحثين.

2/- علم الدولة:

يرجع تاريخ استعمال الراية أو الألوان في دولة بني عبد الواد إلى أيام تأسيسها على يد يغمراس بن زيان، الذي يقول ابن خلدون في شأنه (12):"اتخذ الآلة ورتب الجنود و المسالح...." لكن ابن خلدون في عبارته السابقة، لم يأتي بجديد، إذ لم يوضح لنا الآلة (13) الزيانية ويعطينا في نفس الوقت تفاصيل دقيقة عن وصفها، تفيد في تتبع شعار الدولة من جهة، ومعرفة سماتها وخصائصها التي تميزها عن مثيلاتها في الدول المعاصرة لها من جهة أخرى .

أما فيما يتعلق إستعمال الرايات في الجيش الزياني (العبد الوادي)، فقد أشار إليها صاحب كتاب (واسطة السلوك) ضمن وصيته لولي العهد، حيث يقول(14): والأعزاز تنقسم إلى أربعة أقسام :وصفان، واعلاج، و اتراك و منضافون بسببه (15).

معنى هذا، أنه كان للزيانيين علم كبير، وهو قطعة كبيرة منسوجة من الحرير مكتوبة فيها بالذهب آيات قرآنية بدائر طرتها, وقد أهتم الزيانيين – مثل المرينيين معاصريهم – بشأن العلم الرسمي، فجعلوا له موكبا خاصا يتبع أثر السلطان في مسيره يسمى الساقة، كما يتجلى لنا ذلك من قول أبي حمو موسى الثاني لولده وولي عهده :"يابني يستحسن للملك أن يتخذ رجالا أنجادا كفاة أطوادا، يكونون مشائين بين يديك إذا ركبت، ومنصرفين حيثما سرت، يكون لهم ترتيب في اللباس, ويمتازون بذلك على سائر الناس, ويتزينون بالأقبية الحسان, المختلفات الألوان, وبأيدهم الحراب عليها صغار الرايات, من أنوع الحرير مختلفات لأنهم مما يزيدون في بهاء الملك وجماله وفخامته وكماله, وهم مما يتزين بهم الملوك والأمراء والأشراف...."(16).

ويفهم من منطوق النص, أن العلم الزياني الكبير, الذي كان يستظهر به سلاطين الدولة في الحرب والسلم, تحيط به أعلام دونه مختلفة الألوان وحسب إبن خلدون كان عدد الأعلام في هذه المواكب عند الزيانين بين العشرة والعشرين . ويبدو أنه مع تضخم ملك الزيانيين, لا سيما على عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني, حدث تطور كبير في طريقة الاستظهار بالرايات, والتي كانت تشكل شارة الملك في نظم الدولة آنذاك.

وإذا كان أبن خلدون, قد أشار في مقدمته, إلى أن رايات سلاطين زناته تكون في الساقة, خلف السلطان, حيث جعلوا لها...."موكبا خاصا يتبع أثر السلطان في مسيرة يسمى الساقة"(17). فان أبا حموا الثاني كان يضعها أمامه وفي القلب, كما يتجلى ذلك بوضوح من النص التالي الذي يصف فيه دور الرايات حيث يقول ".....إذا كانت رايات القلب تخفق وطبوله تزأر، كان ذلك حصنا للجناحين، وأمانا للعسكر من الحين، فاجعل راياتك أمامك، وانظر أمامك..."(18)

ويتضح مما سبق، أن هذا التغيير المفاجيء في استعمال الرايات في الحرب، عند الزيانيين إنما جاء معاناة وتجربة ميدانية في قتال العدو عاشها هذا السلطان كشفت من أن تغيرها من الساقة إلى المقدمة والقلب، تكون أنجع وأقوى سلاح في هزيمة العدو، وهو مادعاه إلى تدوينها في شكل وصايا عسكرية لولي عهده كي يعمل بها في الميدالن مستقبلا. وتبعا لذلك طرأ تحول على مفهوم الغاية من رفع الراية في حروب الزيانيين وعروضهم العسكرية (19).

وإذا كان هذا حال الرايات في الحرب، فلا شك أنها تصدرت نفس الأهمية والغاية في أيام السلم، خصوصا في المناسبات والمواكب والتشريفات السلطانية كعودة السلطان من الغزو ودخوله إلى تلمسان، وجاء في مخطوط " زهر البستان" لمؤلف مجهول والمحفوظ بمكتبة ريلاندز بما نشتر (20), وصف موكب السلطان أبي حمو موسى...."وأما المولي أبو يعقوب,فأنه لما أرتحل من البلاد الفاسية عاملا على بلاده التلمسانية, تقدمت الفرسان بالبشرى يهنئون المولي أبا حمو بهذه التحفة الكبرى, فلم يزل يعمل ركابه إلى أن حل بظاهر تلمسان جذلان بما منح الله ولده من السلطان, وعندما حل بالظاهر المذكور أمر المولي أبو حمو بركوب جيشها المنصور ثم أخرج الطبول والعلامات, وأمر أهل تلمسان بالزينة والخروج للملاقات, يخرج الناس كالخروج للأعياد, وركب الجيش في أحسن الاستعداد, و لم يبقي بتلمسان حاضر ولا بادي ولا رائح ولا عاد إلا وخرج يشهد هذا القدوم العظيم ويحضر هذا الملتقى الجسيم, ثم خرج المولي أبو حمو في موكبه

الباهر, وجيشه المنصور الوافر إلى حل بظاهر البلد, وحيث يلتقي بالوالد والولد, ثم صرف الجيش إلى أبيه, ويبقى في الخاصة ممن يرتضيه...وعندما قاربه ترجل وبايعه, وتلاه على البيعة جيشه ومن تابعه, ثم أمر بالطبول أن تضرب على رأس أبيه, وبالرايات أن تنشر حسبما يرضيه ابعه,ثم أمر بالطبول أن تضرب على رأس أبيه, وبالرايات أن تنشر حسبما يرضيه...و لذلك بلغه الله المرغوب".(21)

***أعلام ورايات ثانوية :**

إلى جانب موكب العلم الرسمي, كانت هنا أعلام ورايات أخرى تستعمل أيام الحرب وفي التشريفات والاستقبالات السلطانية, ولكن معلوماتنا حولها تكاد تكون ضربا من المجهول, بسبب الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع, إذ لا تجد فيما توفر لدينا الاالنزار اليسير, وهو عكس المادة العلمية الدقيقة فيما يخص علم الحفصيين والمرينيين. يقول نقلا عن مسالك الأبصار," أن له علما أبيض يسمى العلم المنصور, يحمل معه (أي السلطان) في المواكب وذكر أن الأعلام التي تحمل معه في المواكب سبعة أعلام : الأوسط أبيض وإلى جانبه احمر واصفر واخضر, قال : ولا أتحقق كيف تريبها وإن ذلك غير أعلام القبائل التي تسير معه, فكل قبيلة علم تمتاز به مما عليه من الكتابة.

وتأسيسا على ما تقدم, فإن البحث في الرايات والأعلام عند سلاطين بني زيان, وطبيعة استعمالاتها والمناسبات التي ترفع فيها في السلم والحرب على حد سواء, يعد أمرا صعبا يدخل في عداد البحث عن المجهول, لندرة المادة التاريخية والأثرية عنها, وحتى إن وجدت فهي مادة شحيحة متناثرة هنا وهناك في كتب المؤرخين والتي تعد على أصابع اليد الواحدة, ومع ذلك, فهي لا تسعف الباحث في هذا الموضوع الشائك الذي لم يلق عناية واهتماما بدراسته على الرغم من أهميته في التعرف على مفهوم الحرب عند سلاطين الدولة الزيانية ودور الراية في المعركة ومما يؤسف له, أنه إذا ما حاولنا أن نرسم صورة لها من خلال المخطوط الأثري وكذا المخلفات المادية الأخرى والتي ترجع إلى عصر الدولة, نجد أن هناك فراغا كبيرا من هذه الناحية, لعدة أسباب نذكر من بينها أولا عدم شيوع فن التصوير وتزويق المخطوطات في بلاد المغرب الإسلامي, كما هو الشأن بالنسبة لبلاد الشرق الإسلامي, ثانيا خلوا المتاحف من الآثار الزيانية مثل المنسوجات والخزف والزجاج والحفر على الأخشاب وغيرها. والتي قد تساعد في القاء الضوء عليها.

ثالثا جمود فن النحت على الحجر والجص والخشب والعاج ببلاد المغرب, لأن هذه المصنوعات الفنية غالبا ما كانت تحمل صورا لفرسان ومناظر حربية في كثير من الأحايين تتضمن رسوما لأنواع الأسلحة واللبوسات العسكرية, كما هو الحال بالنسبة للأندلس الشيء الذي نفتقر إليه في المغرب وفي ضوء الاعتبارات السابقة, فإن الباحث في هذا الموضوع لا يتوفر على المعلومات اللازمة لإعادة تصور في كثير من الأحايين صورا تتضمن رسوما لأنواع الأسلحة و الملبوسات العسكرية, كما هو الحال بالنسبة للأندلس الشيء الذي نفتقر إليه في المغرب وفي ضوء الاعتبارات السابقة, فإن الباحث في هذا الموضوع لا يتوفر على المعلومات اللازمة لإعاد تركيبه باستثناء النصوص التاريخية على قلتها التي قد لا تجد نفعا في هذا المجال وبالتالي فلم يبق أمامه سوى الاعتماد على النقود التي ضربها سلاطين بني زيان فهي تفيد في التعرف على العبارات والآيات القرآنية التي اختاروها كشعار لهم والتي لا نستبعد تسجيلها على الرايات والأعلام لاسيما وأن هاتين الشارتين تحتلان مكانة بارزة في رسوم الدولة ونظمها على غرار ما هو معروف في نظم الدول الإسلامية .

1- وصف الراية :

وهكذا فعندما نحاول إعطاء وصف للراية والأعلام الزيانية, يطالعنا المصدر التاريخي الهام (المقدمة) لعبد الرحمن بن خلدون, الذي يذكر تفاصيل مهمة حولها, غير أن كلام هذا المؤرخ عن الرايات والأعلام كلام عام لم يخص دولة بذاتها, بل يشير إلى قبائل زناتة بعد زوال دولة الموحدين حيث يقول(22)".....حتى إذا جاءت دولة الموحدين, ومن بعدهم زناتة قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان, وحضروها على من سواه من عماله, وجعلوا لها مركبا خاصا يتبع السلطان في مسيرة تسمى الساقة, وهم فيه بين مكثر ومقلل باختلاف مذاهب الدولة في ذلك , فمنهم من يقتصر على سبع من العداد تبركا بالسبعة, كما هو في دولة الموحدين و بني الأحمر بالأندلس, ومنهم من يبلغ العشرة والعشرون كما هو عند زناتة وقد بلغت أيام السلطان أبي الحسن فيما أدركناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب مابين كبيرو صغير, ويأذنون للولاة و العمال والقواد في اتخاذ راية واحدة من الكتان بيضاء وطبل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك(23).

وبالمقارنة مع تقارب وتشابه نظم دولة المغرب الإسلامي الثلاث يمكن القول بأن الزيانيين قد استعملوا نفس الأعلام والبنود والرايات التي عرفت عند المرينيين, ويدعم رأينا هذا ما وصل إلينا من نقود التي تشهد على هذا التماثل والتوافق في ميدان الشارات السلطانية. وبالإضافة إلى ذلك فإننا نلاحظ بأن إشارة ابن خلدون تتضمن معلومات ومعطيات دقيقة فيما يخص المادة التي تصنع منها الرايات وكثرتها والغاية من رفعها في الحرب.

وتبعا لذلك يتفرد ابن خلدون في هذا المجال دون غيره من المؤرخين المغاربة الذين تحدثوا كثيرا عن ملوك بني عبد الواد من أمثال يحي ابن خلدون في "بغية الرواد", والمقري في "نفح الطيب", اللذين يعتبران من أبناء مدينة تلمسان حاضرة الدولة, وعلى الرغم من المعلومات القيمة التي تضمنها مؤ ليفيهما, فيما يتعلق برسوم الدولة الزيانية وحياة سلاطينها وعلاقتها بجيرانها في الحرب والسلم وإسهاماتها الحضارية في مختلف الميادين الصناعية والفلاحية والعلمية والثقافية والفنية ,فإن البحث في خضم هذه المعلومات لا يجدي نفعا في هذا الموضوع الذي نحن بصدد بحثه ودراسته و محاولة تصوره وتركيبه من جديد.و مهما يكن من شيء, فإنه يمكن في ضوء المعلومات القيمة التي أوردها ابن خلدون في (مقدمته)عن راية وبنود وإعلام قبائل زناتة بشكل عام, أن نتصور راية الدولة الزيانية (دولة بني عبد الواد), على الأقل من ناحيتي الشكل والمضمون, لنصل في النهاية إلى وضع الخطوط العريضة لرايتهم.

ونقصد بشكل الراية, أصل المادة التي كانت تصنع منها, ولونها إن كان أبيضا أو أخضرا إلخ....ثم البحث عن حجمها ومساحة القطعة المصنوع منها الراية أن كانت مستديرة أو مربعة أو مستطيلة الشكل, ومقاساتها (أي الطول X العرض) وخيرا الوسيلة التي تثبت عليها (إن كانت عصا أو محا و طولهما), ما هي مقاساتها هل هي عبارة عن رمح من ثلاثة أو أربعة أمتار, والجدير بالملاحظة أن هذه المعطيات تكون نسبية مقارنة بالواقع, فإذا كانت الوسيلة رمحا –كما سبق أن أشرنا فهل كان يحملها الفارس أم تثبت في أرض المعركة, وهل كانت راية الزيانيين الحربية, هي نفسها التي تظهر في مقدمة مواكب الاحتفالات التي يحضرها السلاطين الدولة, في المناسبات التي ترفع فيها.

أما بالنسبة لموضوع الراية ومحتواها الزخرفي والكتابي, فيطرح إشكالة البحث في طبيعة الألوان التي فضلها سلاطين بني زيان و قصروا استعمالها على راياتهم و أعلامهم, وبالإضافة إلى ظاهرة الألوان هناك إشكالية أخرى تتعلق

بطبيعة ونوع العناصر الزخرفية الرمزية التي شاع استعمالها جنبا إلى جنب مع الألوان والتي كانت تشكل عنصرا تزينيا للراية والأعلام في ذلك العهد .

والسؤال هو: هل كانت مستمدة أو مقتبسة من الرسوم الفلكية الرمزية والتي لعبت دورا كبيرا في الفنون الإسلامية واتخذتها بعض الدول الإسلامية رموزا وشعارات لها و نقصد بها الهلال والنجوم ؟. أم اتخذت من رسوم حيوانية كالغزلان والأسد والنمر, وهل كانت تتخللها عناصر نباتية مختلفة, المهم أن هذا الموضوع مازال بكرا يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة من قبل الباحثين خصوصا إذا أخدنا في الاعتبار أسلوب المقارنة بينه وبين العناصر الزخرفية التي تزين أثار وفنون بني زيان. وبالإضافة إلى ما أشرنا إليه تبقى هناك مسألة مهمة جدا لاستكمال الصورة عن الراية الزيانية, ونعني بها نوع العبارات الدينية لا الآيات القرآنية, وعدد الأشرطة التي كانت تشغلها, وأسلوب أو طريقة تنفيذها على المادة المكونة للراية, فهل نفذت بالمادة نفسها, أم بالطابع أو بالطرز, وأخيرا طبيعة الألوان وتدرجاتها إن كانت بيضاء أو سوداء لأن معرفة ذلك يشكل عنصرا مهما في إبراز الشعارات المسجلة على الرايات وإظهارها بشكل ملفت للأنظار لإثارة الحماس وتقوية معنويات المقاتلين خصوصا عند الالتحام وبداية القتال الواقع أنه بالنسبة لنوعية العبارات الدينية وكذا الآيات القرآنية التي استعملها سلاطين بني زيان كشعار على راياتهم, نستطيع التعرف عليها وتحديد مضامينها بالرجوع إلى السكة أو النقود الزيانية, لأنها وثائق رسمية تشرف عليها الدولة وتصدر صيغها .

فهي بمثابة الوسيلة الإعلامية الرسمية التي تعبر من خلالها الدولة عن أفكارها وبرامجها السياسية ومشاريعها, هذا فضلا عن أنها وسيلة نقدية للتعامل. والسكة بهذا المفهوم, تعتبر مصدرا أصيلا معاصرا للأحداث لا يقبل الطعن ولا التزوير, فالسكة إذن مرآة عاكسة لها في عزها ومجدها وقوتها وفي ذبولها واضملالها وتفككها وانهيارها خصوصا معاناة الدولة الزيانية من مرارة الحصار المر يني الذي استمر أكثر من ثمان سنوات .

وفي هذا النطاق نذكر على سبيل المثال لا الحصر, أنه من بين العبارات الدينية التي سجلت ككتابة نقدية على المسكوكات الزيانية أثناء مدة الحصار وبعده, الصيغ "نعم القادر الله" , "ما أقرب فرج الله ", و"لا غالب آلا الله ", (24) ومن الآيات الكريمة: "وما النصر: "وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم" (25) و"هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم "(26), "والهم اله واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم "(27). يتبين من منطوق هذه النصوص, أنها تصوير واقع الزيانيين لمعاناة و مرآة تعكس الأحداث السياسية و العسكرية التي عاشتها الدولة .

وحتى إذا سلمنا قرضا بانتماء هذا النوع من النقود إلى طراز السكة الزيانية بناء على المعطيات السابقة, فإن الشعارين نعم القادر الله "و" ما أقرب فرج الله " فيستوجبان الوقوف عند هما وتأملتهما ألأهميتهما التاريخية, إذ يكشفان عن أوضاع سياسية وعسكرية كانت , إذ يكشفان عن أوضاع سياسية وعسكرية كانت تهدف إلى الفضاء على دولهم نهائيا.

ولعل أخطر الفترات الحرج التي عاشها سلاطين بني زيان, هي فترة الحصار المر يني لعاصمتهم تلمسان, وخلال مدة الحصار هذا عاشت الدولة قحطا اقتصاديا كبيرا كان من أثاره ظهور المجاعات, وتفشي الأمراض وكثرة الوفيات, وأثناء الحصار وانفراج الأزمة التي فتكت بالعباد و البلاد, وعودة بني مرين, ضربوا نقودا ذهبية وفضية تحمل هذا الشعار: "ما أقرب فرج الله".

وهنا تتجلى لنا ظروف استعمال هذا الشعار الذي رفعه سلاطين بني زيان على نقودهم ورياتهم تعبيرا عن موقفهم وعجزهم عن تحرير مدينتهم من شبح المرينيين فأوكلوا أمرهم إلى الله العلى القدير "نعم القادر الله " وأن يفرج كربتهم و يرفع عنهم هذا الخطر, وتأسيسا على ذلك, يمكن استخلاص نتيجة علمية نطمئن إليها .

بخصوص إشكالية الشعارات المسجلة على رياتها ومنها هذا الشعار الذي ظهر لأول مرة على السكة الزيانية أيام حكم " السلطان أبي زيان محمد "و قد أكد أبن خلدون هذه الحقيقة في كتابة "العبر و ديوان المبتدأ والخبر " الجزء السابع صفحة 199, وذلك في معرض كلامه عن الآثار الوخيمة التي خلفها حصار تلمسان بقوله (28) : (.... و أذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وساكني مدينتهم فكأنها نشروا من الأحداث و كتبوا لها في سكتهم ما أقرب فرج الله استغرابا لحادثتها".

واستنادا إلى المعطيات السابقة, وبحكم تشابه نظم الدول المغربية الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية – ومظاهر الصراع من أجل البقاء والسيادة , وانطلاقا من الدراسة الإحصائية المستخلصة لأنواع العبارات الدينية والآيات القرآنية التي شاع استعمالها في بلاد المغرب الإسلامي في العصور الوسطى(29) , يمكن أن نفترض مايلي :

ب/ -الرايــة :

مقاساتها : 2,5 x 1,5م

المـادة : حـرير

ألـوانها : متعـددة

شكلهـا : مستطيلـة

الوسيـلة : الرمح الطويل

الزخارف : فلكية –حيوانية- نباتية .

والراية في حكم كبر حجمها واتساعها كانت تقسمها ثلاثة أشرطة كتابية هكذا :

***الشريط الأول (الأعلى):**

- (و ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم).(30)

***الشريط الثاني (الأوسط) :**

-لآاله الا الله محمد رسول الله (31).

***الشريط الثالث (الأسفل):**

- ما أقرب فرج الله (32).

إضافة إلى الرايات الكبرى, كانت توجد بنودا صغيرة من الكتان الأبيض وهي خاصة بالقبائل المشاركة في القتال, وهي لا تختلف عن رايات القتال عند الرنيين أنظر (33).

***الـهوامــش:**

1/- عرفت الدولة بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة بني عبد الواد , التي تعتبر أحدى بطون رناتة.(انظر, ابن خلدون, العبر ج 7ص 15 و ما بعدها).

2/- و قد سميت بالدولة الزيانية, نسبة إلى والد يغمراسن زيان .

3/- ابن خلدون, المصدر السابق,ج7 ص 159 – القلقشندي, صبح الأعشى ج5 ص 149 .

-عبد الرحمن الجيلالي, تاريخ الجزائر العام ,ج2 ص 121,

- مبارك المبلي, تاريخ الجزائر في الحديث و القديم,ج2 ص 348-

4/- أنظر: DHNA,A ;Les Etats de l'occident Musulman aux XIII-XIV et XVe siécle . éd .O .P.U .ENAL) Alger(s.D)p.107.

5/- كان من نتائج الحصار على تلمسان الذي استمر أكثر من ثمان سنوات, أن ترك آثارا وخيمة, على مستوى المعيشة, فساءت الأحوال الصحية و غلت أسعار المواد الغذائية و تفشت الأمراض, و مات الناس جوعا و عطشا أنظر ابن خلدون .

العبرج 7ص- يحي ابن خلدون, بغية الرواد (تحقيق حاجيات – الجزائر) .

6/- على حامد الماحي, المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ص 219(دار النشر المغربية) الدار البيضاء 1986م ص 80.

7/- نفس المؤلف و المرجع السابق ص80.

8/- طبعة تونس 1962م.

9/- محمد المنوني, "نظم الدولة المرينية –النظام الإقتصادي" مجلة البحث العلمي, العددان 4-5 1965م ص 255.

10/-مقدمة ابن خلدون ,ج2 ص 806, لعل عدم تخصص بني عبد الواد بلون واحد, يرجع إلى أنهم كانوا يؤثرون تعدد الأوان.

11/- على سبيل المثال أتخذ العباسيون لون السواد شعارا دولتهم, و الفاطميون البياض و الخوارج اللون الأحمر.

12/- كتاب العبرج 7ص 162.

13/- يقصد بالآلة كل ما يتعلق بالجيش والسلطان أثناء

والسلم, من نشر الألوية و الرايات وفرع الطبول و النفخ في الأبواق(المقدمة ج2 ص 804).

14/- أبوحمو موسى الثاني, واسطة السلوك....ص 81.

15/- ويوضح المؤلف أيضا كيفية ترتيب الجيش يوم الحرب و اللقاء في هذه العبارة: "يابني رتب جيشك يوم الحرب واللقاء, فإن في ترتيبه إرهاب للأعداء وهيئه تهيئا حسن الانتظام, مضبوط لانقسام, على أربعة أقسام: ميمنة من حماة إنجادك, وميسرة من كفاة أجوادك, وتقدمة من أبطال فرسانك, وساقة من أسود شجعانك و تقدم على كل واحد من الميمنة والميسرة قائدا مقدما بطلا ضرغاما). ص 130-131.

16/- واسطة السلوك,ص 81

17/- أنظر المقدمة (ط,مصر) ج2 ص 807.

18/- واسطة السلوك .....ص 130.

19/- أشار يحي ابن خلدون في كتابه (بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد)(فتح و نشر الفريد بل) ط. الجزائر 1910م ص 181-182 إلى العرض العسكري الذي قدمه أبو حمو الثاني سنة 767ه بالساحة الفسيحة شمال, أسوار تلم"سان بالمنية الذي تضمن أنواع الرايات و الملبوسات والأسلحة.

20/- يوجد المخطوط في The Jhon Rylands university of Manchester N 283 Arab section

تحت لقم:

21/- مجهول زهر البستان في دولة بني زيان ص.

22/- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, (ط.الأميرية) القاهرة. 1915م . ج 5 ص. 149.

23/- واسطة السلوك ...ص. 81.

24/- أنظر على سبيل المثال كتاب واسطة السلوك السالف الذكر ....ص 81.

- ابن خلدون , المقدمة .ج2ص 807.

25/- ابن خلدون, المقدمة ,ج 2 ص 807.

محمود بوعياد, جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9ه /15م.

(ط. الجزائر 1982م)ص 25-26.

26/- أنظر , د. صالح بن قربة , المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينيين خلال القرون السادس و الثامن للهجرة – 12,13,14م-رسالة دكتوراه –الدولة في الآثار الإسلامية , جامعة الجزائر 1996م , ج2 ص 880 وما بعدها ,

27/- الآية 126 من سورة آل عمران .

28/- ابن خلدون , العبر. ج7 ص 199.

29/- لبن خلدون , العبر ج 7 .ص 199.

30/- الآية 126 من سورة آل عمران.

31/- د.صالح بن قربة ,المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينين (دراسة حضارية)ج 2 ص935.

Demaeght ,M , Contribution au Monnaies Frappées sous Les dynasties Musulmanes du nord d'Afrique ¨Bull- géo ,et Archéo – 1887 .pp.6-68

32/- لبن خلدون , نفس المصدر و الصفة .

33/- أنضر عبد الله ابن العباس الجراري , الغاية من رفع الراية طبعة 1-الرباط 1935,ص 14-15.